

رائحة الصور

بقلم . محمد علي نور حسين

مضى الكثير من الوقت وانا في الغربة ، لا ادري كم من السنون وانا لاجئ .. ولكن اقسام ان عمري كله قضيته في اللجوء ابحت عن وطن انتمي اليه ، وانا صاحب وطن له تاريخ وحكايات من البطولات لا تنتهي ، جلست في استراحة العمل احاول ان اتذكر من انا ومن اين اتيت .. من اين ابدأ ذكرياتي التي تمنحني طاقة لأعيش كأنسان .. نعم تذكرت .. أبي ، كان دائما ما يحاول ان يربط بيننا انا وإخوتي ببلدنا الام "اريتريا" ، اسمع يا بني هل تعرف من اي منطقة انت في اريتريا .. كنت اضحك لانني دائما ما كنت انسى هذه المعلومة التي لم تكن بالنسبة لي بالشئ المهم في ذلك العمر .. قل لي هل تريد ان تزور اعمامك وأقربائك في اريتريا ؟ كنت ارد بنعم لانني اعلم جيدا انني سوف احصل على بعض المال والحلوى من اقربائي .. دائما ما احصل على هدية او مكافاة من اقرباء أبي في كل زيارتنا لهم في الخرطوم ما بي اذا ذهبنا الى اريتريا .. اعلم انني سأحصل على الكثير من النقود والهدايا .. اسمع يا بني يجب علينا ان نعود يوما ما الى بلدنا لذا يجب ان تتعلم لغة بلدك وكل شئ عنها .. هل تفهم ؟ كنت اهزأسي علامة الموافقة لان صوت ابي كان يتغير وكنت اظن انه سيبيكي ولكن لا .. اذهب وقل لامك ان تعطيك اليوم الصور الخاص بالعائلة .. كنت استمتع بتلك الصور لانها تعطيني الاذن بالخروج من حدود خيالي الطفل .. مع تلك الصور فقط كنت استطيع ان اسافر من السودان لاريتريا وخصوصا اسمرأ .. هل تعلم من هذا يا بني ؟ يعيدني هذا السؤال من رحلتي الخيالية لواقع نسيان شخص ما من العائلة فأحاول ان اتذكره ولكن لا استطيع فيهب ابي رأسه علامة على الحزن حتى احس بدني ولا اعيد تكراره في المرة القادمة واحفظ اسم قريبي هذا .. كنت استغرب ملابس ابناء عمي .. جميلة جدا ملابسهم ونظيفة دائما .. هل استطيع ان اكون مثلهم يوما ما ؟ .. هذا ابن عمك الكبير انه في نفس عمرك ولكنه يكبرك ببضع شهور فقط .. رائحة الالبوم غريبة هل السر في الورق ام في ذلك الزمن ! وهذه بنت عمك تصغرك بعامين .. كم هي جميلة تلك الطفلة التي كنت اكبرها بعامين فقط .. الان اتذكر انني كنت انوي ان اتزوجها عندما أكبر .. عندما اكبر واذهب لاريتريا سوف اتزوجها واشتري لها كل فستان ابيض في اسمرأ .. سوف اعيش حياتي في بلدي ولن اخرج منها ، لان رائحة الصور لا تكذب ابدا .. اتذكر عندما جائنا ضيف يحمل رسالة لأبي من اخوته في اريتريا جلس

الضيف يحيي لأبي عن البلد كان الصمت لأبي عنوان امام حكايات هذا الضيف ، اعتقد اني كنت اشم رائحة المطر في ثياب الضيف ، خرجت مع أبي لنودع الضيف ودعنا الضيف وداع عزيز على القلب .. اضطرابي ان ينتظر ساعة كاملة ، ينتظر ابي ان تعود بصحبة جدتي من الخارج ليفتح الخطاب الذي اتى به الضيف العزيز من اريتريا ، اجتمعنا كلنا حتى اخي الصغير الذي كان في عامه الثالث اتى لسمع ما لن يفهمه هو ولا اخوه الاكبر.. كان ابي يقرأ الخطاب كأنه ساحر يلقي بتعويدة ، فكلما قرأ جملة ارى وجه امي وجدتي يتغير تارة حزن وأسى لشخص مات وأخرى لضحك اذا ذكر اسم احد الأشخاص وكانت لهم معه ذكريات وكثيرا إستعجاب اذا سمعوا أن فلان تزوج او فلانة تزوجت .. كان الساحر يقرأ والسحر يسري فينا جميعا .. وانا واخي نشاهد عرضا يستحق جائزة الأوسكار .. كانت اخر دقيقة في الخطاب هي التي منحتها مكاناً في ذاكرتي فقد حوى في ختامه خبر وفاة عمي الأكبر.. في تلك اللحظة رأيت تلك الدمعة تفر من حبسها نحو الخطاب عليها تمحو ما كُتب فيه من حقيقة مؤلمة ، أخاف ان أنسى ذكرياتي وحكايات أبي وأنا أبحث عن ذكريات وحياة جديدة .

Wedi_ali_jbr@yahoo.com